محو الأمية فى مصر

المشروع الجليل الذى تضطلع به وزارة الشئون الاجتماعية

للأستاذ دريني خشبة

ليس أخزى لأمة من الأمم أن تشيع فيها تلك الأمية الذميمة على الصورة التى تشيع بها فى مصر . وبالنسبة العالية التى ترتفع إلى ٨٥ ٪ فى بلادنا ... وأى خزى ألا يكون فى مصر من الملمين بالقراءة والكتابة أكثر من مليونين وربع المليون وأن يكون بها من الأميين أكثر من اثنى عشر مليوناً وثلاثة أرباع المليون !

أى خزى أن تكون هذه حالنا بالرغم من الملايين العشرة من الجنيهات التى شرعنا ننفقها على التعليم سنوياً ؟

وكيف أغمضنا عيوننا على هذه الحال كل تلك السنين الطوال ، والمسألة تتعلق بكرامتنا وقوميتنا واستقلالنا وحياتنا وبكل ما هو عزيز علينا ؟

وإذا عددنا أدواءنا الاجتماعية ، فأى داء وبيل يكون أقسى على المجتمع المصرى من تلك الأميه الذميمة المتفشية فى طبقاته على هذا النحو ، وبتلك النسبة العالية ؟

وإذا عددنا أمراضنا المتوطنة ، فأى مرض فتك بنسبة تزيد على اثنين بالمئة أو سبعة بالألف من سكان مصر ، كما تفتك تلك الأمية الوبيلة بثمانمائة وخمسين من كل ألف مصرى عزيز ؟

وماذا يصنع التيفود والتيفوس والملاريا والرمد والأنكلستوما والبلهرسيا أشد مما تصنعه تلك الأمية بإخواننا الساكنين المصريين من فلاحين وعمال وصناع وتجار وجنود وشرطة ؟

إن هذه الأوبئة التى ذكرنا ، وغيرها مما لم نذكر ، ليس مصدرها الميكروب كما يزعم الأطباء ، وإنما مصدرها تلك الأمية التى تغشى عقول هذه النسبة العالية من إخواننا المصريين البائسين

إن الفلاح الذى يشرب من البركة الراكدة ، والفلاحة التى تغتسل فى تلك البركة ، إنما يصنعان ذلك بعامل الأمية التى حالت قسوة الأمة ونومها الطويل الذى نامته دون إنقاذ غالبية الشعب من براثنها

وإن المرابى الذى يغتال أموال الفلاحين وغير الفلاحين من طبقات الشعب ، إنما يغتالهم من طريق أميتهم التى رانت على أبصارهم ، وناءت على عقولهم ، وحجبت عنها النور بتلك الطبقة الكثيفة من السذاجة والغفلة والجهل المبين

إن اضطلاع وزارة الشئون الاجتماعية بمهمة محو تلك الأمية الذميمة هو أشرف الأعمال التى تضطلع بها وزارة من الوزارات بل هو أجل خدمة تؤديها للوطن ، الوزارة التى أنشئت لخدمة المجتمع المصرى ، وانتشاله من تلك الوهدة التى تتردى فيها غالبيته المسكينة البائسة التي لا تنتفع من ملايين التعليم العشرة إلا بأزهد مقدار وأضأله ، وبطرق بعيدة غير مباشرة

وإن مهمة محو الأمية فى مصر لعمل تنوء به وزارة واحدة ، ويجب لهذا أن يعد خدمة وطنية عامة تُعبّأ له جهود الشعب كلها ، بحيث يكون مرتكباً لجريمة الخيانة الوطنية الكبرى كل مصرى يستطيع أن يساهم فى هذا العمل ثم يحجم عن المساهمة ، أو يتراخى فى القيام بنصيبه فيه

إن هذه النسبة العالية من إخواننا وآبائنا وأمهاتنا وأخواتنا وأبنائنا المصريين ، المحرومين من نعمة القراءة والكتابة ، هم فى الحقيقة محرومون من النور ، بل من الحياة ، بل من الكرامة الإنسانية . وإن من الأنانية التى ليست وراءها أنانية أن تنتفع نسبة ضئيلة من سكان البلاد بمائة مليون من الجنيهات أو تزيد كل عشر سنوات ، دون أن تنتفع غالبية الشعب بشىء من هذه الملايين

فالمسئلة جد إذن ، ونحن منها إزاء خطر وطنى يجب أن تتضافر الجهود على التغلب عليه ... لقد أنشأنا وزارتى التموين والوقاية المدنية من الغارات الجوية لأسباب لو اجتمعت كلها ومعها عشرة أضعافها ، لما بلغت أسباب هذه الأمية بعللها وآثامها وعقابيلها الوخيمة ، لأنها أصل العلل ، ولو أنصفنا هؤلاء الإثنى عشر مليوناً وثلاثة أرباع المليون من إخواننا المصريين الأميين التعساء لأنشأنا لهم وزارة لمكافحة تلك الأمية التى تنحط بهم إلى مراتب الحيوانات بين أسماعنا وأبصارنا ، نحن إخوانهم المتعلمين الأنانيين !

فإذا نهضت وزارة الشئون الاجتماعية لهذا الأمر ، وجب ألا تضطلع به وحدها ، بل واجب على كل وزارة أن تعاضدها فيه ، بل وجب على جميع المصريين ، أفراداً وجماعات ، أن يقدموا لها معونتهم الصادقة المثمرة ، بحسبان أن هذه المعونة خدمة وطنية عامة ، وفرض مقدس فى عنق كل مصرى أن يضطلع بنصيبه فيه

ولعل وزارة المعارف هى أولى الوزارات التى ستقدم لوزارة الشئون النصيب الأوفى من المعونة الصادقة ، وستقدمه شاكرة ذاكرة معترفة بالجميل ، لأن قيام وزارة الشئون بهذا الأمر دون وزارة المعارف فيه معنى من أنبل معانى التضامن الوزارى فى الحكم الصالح ، لأن أحداً لم يقل إن وزارة المعارف قادرة على كل شىء ، بل إن أحداً لم يقل إن أية وزارة من الوزارات قادرة على القيام بالعمل كله الذى أنشئت من أجله ، بل إن أية وزارة من الوزارات لعاجزة أتم العجز عن تحقيق الأغراض التى أنشئت من أجلها ما لم تعاونها فى ذلك معظم الوزارات ... بل كل الوزارات ... فإذا اعترض أحد بأن مكافحة الأمية هو أول الأعمال التى أنشئت من أجلها وزارة المعارف ، قيل له إن كل الأعمال التى أنشئت من أجلها وزارة الشئون الاجتماعية كان مفروضاً أن تقوم بها وزارة المعارف ، فلما أنشئت وزارة الشئون كان إنشاؤها إتماماً لوزارة المعارف ، وتركيزاً للأعمال والواجبات ، والخدمات العامة التى تنوء بها وزارة واحدة ، على أن نصيب وزارة المعارف من هذا المشروع الجليل سيكون أكبر الأنصبة كلها وأوفاها ، فهى التى ستقدم مدارسها كلها للتعليم الليلى ، وهى التى ستقدم مدرسيها فى جميع فروع التعليم ، الأولى منه والابتدائى والثانوى والخاص والعالى والجامعى ، لتعليم إخواننا المصريين البائسين مبادئ القراءة والكتابة والحساب ... وهى ستفعل هذا عالمة أن أساتذتها من التعليم الإلزامى إلى التعليم الجامعى ، لن يشق عليهم أن ينتدبوا لهذه الخدمة الوطنية الكبرى ، لأنها دين مقدس فى أعناقهم للوطن المرزوء بتفشى الأمية فى طبقاته ، بل إن أستاذ الجامعة سوف يشعر وهو يقوم بتلك الخدمة الوطنية أنه لم يؤد لبلاده خدمة أجل منها من قبل ... وها نحن أولاء نرى بين صفوف الجنود الحليفة بيننا أطباء ومهندسين وحاملى درجات جامعية رفيعة يعمل كل منهم برتبة جاويش بسيط ، أو عسكرى لا يحلى ذراعه غير شريط واحد ، وهو مع ذلك يشعر أنه يؤدى واجبه المقدس لبلاده أولاً ، وللمدنية المضرجة بالدماء ثانياً ، وهو مع ذلك يشعر أن قيمته قد ازدادت ، وأن ضميره قد استراح ، وأن درجته العلمية لم تنقص ...

ستفعل وزارة المعارف ذلك ، وستعبىء كل رجالها وكل جهودها فى هذه السبيل ، وستفعله شاكرة ذاكرة معترفة بالجميل لوزارة الشئون الاجتماعية ، وستحذو جميع الوزارات حذو وزارة المعارف فى معاضدة وزارة الشئون ، فتساعدها وزارة الصحة فى مكافحة الأمية الصحية بين طبقات الفلاحين والعمال والصناع والتجار ومن إليهم من سائر طبقات الشعب . . . وتساعدها فى مكافحة الأمية الصحية بين الأمهات والآباء بث أطبائها ومفتشيها فى القرى والمدن والمساجد والأسواق لتنظيم الاجتماعات للتنوير ، ولتبصير الآباء والأمهات بما لا بد من تبصيرهم به من معضلات الصحة والوقاية من الأمراض العامة ، وسيفعل الأطباء ذلك راضين متواضعين شاعرين أنهم يقومون بنصيبهم فى هذا الجهاد المشترك والخدمة الوطنية العامة الكبرى

وتساعدها وزارة الدفاع الوطنى بتعليم جنودها مبادئ القراءة والكتابة تعليما إجباريا تخصص له ساعات قليلة من ساعات العمل والتدريب العسكرى

وتساعدها وزارة الداخلية بمثل ما تساعدها به وزارة الدفاع ، فلا تقبل شرطياً أمياً بين شرطتها ، ولا خادماً أمياً ولا خفيراً أمياً بين خدمها وخفرائها ، وبذلك تضطرهم إلى تعلم مبادئ القراءة والكتابة اضطراراً وتحملهم عليه حملا . وكذلك سائر الوزارات

وتساعدها وزارة الأوقاف أكبر المساعدة بوضع مساجدها ودور أوقافها المعطلة تحت تصرفها . . . وبتعبئة الأئمة والخطباء والوعاظ ورجال الدين للقيام بنصيبهم فى التدريس ومكافحة أمية الخرافات والشعبذة ... وبهذه المناسبة نشير إلى ما ينبغى أن يساهم به الأزهر والأزهريون من نصيب موفور مشكور ، فهم أقرب إلى نفوس العامة ويتمتعون بينهم بالثقة والمحبة ، ومثل هذا يقال عن رجال الأديان الأخرى المحترمين